ثقافة اللاعنف

وتجليات المجتمع العراقي

م.م أحمد ياسين أحمد
كلية الآداب /جامعة واسط

مقدمة..

تعد كتابات وأدبيات اللاعنف في المجتمع العراقي قليلة ونادرة إذا لم تكن غائبة ومفقودة ومهمشة نتيجة الصراعات السياسية التي عانى ومازال يعاني منها العراق في تأريخه السياسي القديم والحديث. وكنتيجة حتمية لكل هذه الصراعات العنيفة التي تعرض لها المجتمع العراقي جعل الذات العراقية تتمركز حول محور العنف وأصبح هذا المحور يحتل جزء كبير من للمجتمع العراقي، آذ تغلغل في ثقافتنا الباطنية أو المستترة وأصبح جزء من ميولنا النفسية والاجتماعية حتى بدأ العنف يظهر في سلوكياتنا وتعاملنا اليومي ليكون نمط ثقافي يميز مجتمعنا عن المجتمعات الأخرى.

لكننا اليوم بعد استيعاب المجتمع العراقي لدروس الماضي وتعرضه لتغيرات اجتماعية وثقافية وسياسية مهمة في تأريخه الحديث وخروجه من العزلة الاجتماعي التي عمد النظام السابق على فرضها طيلة حكمه. نتيجة تغيير السلطة السياسية في العراق، وتعرضه لآليات العولمة مما سهلت دخوله في المنظومة العالمية وجعلت العراق أمام ثقافة جديدة أخذت تحتل الجزء الأكبر من أولويات التفكير العراقي. إذ ظهرت دوافع ومتطلبات عديدة ساهمت في بلورة الحاجة إلى مفاهيم وقيم وثقافات ، تساهم في زيادة وتيرة التفاهم بين أفراد المجتمع الواحد، وبين المجتمع العراقي والمجتمع الأخر. وتؤسس لعلاقة سليمة بعيدة عن خيارات القطيعة والصدام والحروب الداخلية والخارجية المفتوحة . فكلما توسعت المسافة وفق الاختلافات القومية والمذهبية والدينية والرؤى السياسية ، ازدادت الحاجة إلى أطر ثقافية وقيم جديدة تحول دون أن تتحول هذه المسافات إلى سبب صراع وصدام بين أبناء المجتمع الواحد .وأطر تحتضن كل معالم الاختلاف وتستوعب جميع الشرائح والفئات، وتؤسس لحقائق التسامح كوسيلة مجتمعية وحضارية في إدارة الخلافات والاختلافات المتوافرة في المجتمع العراقي. لتكون ثقافة مجتمعية حاكمة وسائدة بين جميع فئات المجتمع ولا تقتصر على مستوى النخب والأطر الضيقة.

احتوى البحث على مشكلة وأهمية وأهداف ومحاولة تحديد مفهوم اللاعنف، ومبحثان الأول اهتم بدراسة العوامل الاجتماعية والتاريخية المساعدة لتبني ثقافة اللاعنف، والمبحث الثاني الاستراتيجيات التي ممكن أن تعتمد في تبني تلك الثقافة.

مشكلة البحث:

بعد تغلغل مفهوم العنف في ثقافة و فكر المجتمع العراقي طيلة العقود السابقة ،وظهور اللاعنف كمفهوم جديد بل ثقافة جديدة ولكنها ليست غريبة عن المنظومة الفكرية لإفراد المجتمع العراقي نتيجة حاجة المجتمع الداخلية لتبني ذلك المفهوم، والاتصال الفكري والثقافي بالمجتمع الآخر. ظهرت الحاجة إلا دراسات و بحوث توطن هذه الثقافة وتجعل منها محور للنقاشات والتطبيقات العملية داخل المجتمع العراقي. لذا يحاول البحث الإجابة عن سؤال مهم هو((هل المجتمع العراقي مؤهل لتبني ثقافة اللاعنف؟)) ومد جسور المسالمة والمسامحة بين أبنائه من جهة وبين المجتمعات الأخرى.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث من طبيعة أهمية الظاهرة المدروسة التي قلة الدراسات الاجتماعية بها، وحاجة المجتمع الحقيقية لإظهار هذه الثقافة لتكون أكثر تداول بين الأوساط المجتمعية. ودراستها لمحاور لم تسبقها دراسة اجتماعية تناولتها. ومن محاولتها بيان الاستراتيجيات التي يمكن من خلالها نشر ثقافة اللاعنف داخل المجتمع العراقي للاستفادة منها في تطبع فراد المجتمع بثقافة اللاعنف.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١. التعرف على مفهوم اللاعنف كمفهوم اجتماعي وسياسي.

٢. بحث ودراسة العوامل الاجتماعية التي تدعم البناء الثقافي العراقي في تبني مفهوم اللاعنف المجتمع.

٣. التعرف على الآليات التي يمكن من خلالها توطين ثقافة اللاعنف في المجتمع العراقي وجعله سمه من سماته الثقافية.

تحديد مفهوم ثقافة اللاعنف (Culture Nonviolence):

من اجل الوقوف على الفهم الحقيقي لأي بحث لابد من تحديد المفاهيم الأساسية المكونة للبحث والتي تتمحور حولها أهميته وأهدافه، ولغرض بيان الفكرة المقصودة والمعنى الواضح للبحث لابد لنا من تعريف مفهومي (الثقافة) و(اللاعنف)، ثم إيجاد مفهوم عملياتي يجمع بينهما. مصطلح culture [ثقافة] بالفرنسية كلمة مشتقة من فعل colere اللاتيني الذي يعني، في الآن نفسه، "زرع" و"كرَّم". المعنى الأول لكلمة "ثقافة" culture هو "زراعة" agri-culture: والمقصود زرعُ الأرض لإنتاج نباتات نستطيع أن نقتات بها[١]. أما في قواميس علم الاجتماع فيعرفها العالم شاس منتاجو Montagu أنها نماذج معيشية أو نماذج للفكر والعمل ابتدعها الإنسان في سبيل البحث عن إشباع حاجاته المعيشية وهي نماذج مكتسبة يصل اليها عن طريق العقل والتفكير[٢]. أما عند احمد بدوي فأنها الأنماط الظاهرة والباطنة للسلوك المكتسب عن طريق الرموز الذي يتكون في مجتمع ما من علوم ومعتقدات وقيم وعادات[٣].

إما عالم الاجتماع "بارسونز" يقول إن الثقافة تتكون من النماذج المتصلة بالسلوك وبمنتجات الفعل الإنساني التي يمكن إن تورث - بمعنى إن تنتقل من جيل لجيل بصرف النظر عن الجينات البيولوجية[٤]. أما مفهوم اللاعنف فعلى الرغم من حداثة استخدام المفهوم في الأدبيات العربية والعراقية بدلالاته الحالية لا أن للمفهوم إبعاد دينية واجتماعية شكلت محور للكثير من دراسات السابقة التي عنت بأمن المجتمع الفكري والديني، ومع تنامي المجتمعات وزيادة وتيرة الصراع الداخلي والخارجي ظهرت الحاجة ملحة لإحياء إبعاده الدينية والاجتماعية وتطوره ليشمل ثقافة مجتمعية وطريقة حياة لإفراد المجتمع .لذا تعدد المحددات التي عنت بتحديد مفهوم اللاعنف ومن الصعوبة تجد تعريف جامع لذلك المفهوم. ففي اللغة الانكليزية يتكون المفهوم من مقطعين (None) وتعني (ابداً، لاشئ)[٥] و(Violence) تعني (العنف)[٦] . وتجده في اللغة العربية قريب لمفهوم المسامحة الذي يعد دالاً لما يحمله مفهوم اللاعنف من مغزاه وعملياته. اذ نجده في معجم ابن منظور ثري المعاني، ومعظم هذه المعاني مشتقة من (سمح). السماح ،والمسامحة أي الجود والعطاء عن كرم وليس عن تنازل ومنة[٧] وفي معجم المحيط تراها ذات معنى أوسع ومقترن بأفعال الين والعفو والتساهل ، تسامح معه: تساهل معه ياسره[٨]. وتقول العرب عليك بالحق فان فيه لمسمحاً، أي متسعاً: فالتسامح حق يتسع للمختلفين، أو اقل انه استواء بالاختلاف وقبول الآخر[٩]. ويعد غاندي أول من قدم كلمة (لاعنف) للغرب بترجمته إلى الإنكليزية مصطلح (ahimse) الذي كان شائعاً في الديانة اليانية*، إنما هو موقف جوهرياً أي هو نظرة ، نظرة إحسان وطيبة نحو الإنسان الآخر ويظهر كسلوك لا ينطوي على حب من يحبوننا فقط بل يذهب إلى أبعد من ذلك حيث أن اللاعنف يبدأ من اللحظة التي نشرع فيها بحب من يكرهوننا [١٠].وقد استخدم مفهوم اللاعنف على انه استراتيجية

سياسية أو فلسفة أخلاقية تنبذ استخدام العنف في سبيل أهداف اجتماعية أو من أجل تحقيق تغيير سياسي، لذالك ظهرت عدة محددات لذالك المفهوم تحاول أن توضح المفهوم وفق رؤى مختلفة. فمن الناحية السياسية عرفت الموسوعة السياسية مبدأ اللاعنف بأنه سلوك سياسي لا يمكن فصله عن القدرة الداخلية والروحية على التحكم بالذات وعن المعرفة الصارمة والعميقة للنفس[١١] ، او ينظر على انه استراتيجيه تهدف إلى تحقيق التغير في المجتمع دون ألجوء إلى العنف ووسيلة من وسائل العمل السياسي والاجتماعي يحاول أن يجعل قوة الضعيف وملجأه الأخير مرتكزاً على إثارة الضمير والأخلاق لدى الخصم، أو على الأقل لدى الجمهور الذي يحيط به[١٢]. ويعتبر الفيلسوف البريطاني بيرتراند رسل اللاعنف بأنه "سلوك عقلاني يهدف إلى تفادي الصراع مع طرف معين أو أطراف محددة بغية إحلال السلام والوئام والانسجام مع الجهات التي قد تكون سببا من أسباب التوتر والقلق، وإقناع الآخرين بأن النزاع والحروب تؤدي إلى الكثير من الخسائر المادية والبشرية[١٣]. اما العالم بترم سوروكن فيعرف ظاهرة اللاعنف على انها سلوك مسالم وهادئ يجنح نحو التفاهم والود والانسجام مع الآخرين ويتجنب القوة والصدام مع المناوئين والخصوم حتى ولو كلف ذلك بعض الخسائر المادية والاعتبارية للطرف الذي يتوخى التهدئة والسلام.[١٤] أما تعريف اللاعنف عند جان ماري مولر المفكر الفرنسي الكبير فهو ضرب من ضروب الوعي الاجتماعي والثقافي الذي يجعل الفرد يعترف بحقه وحق الآخرين عليه .[١٥] ومثل هذا الاعتراف هو الذي يقدح شرارة اللاعنف التي تضع حداً للاستغلال والاحتكار والنزاع والاقتتال والحرب.ويمكن للاعنف أن يكون إستراتيجية سياسية أو فلسفة أخلاقية تنبذ استخدام العنف في سبيل أهداف اجتماعية أو من أجل تحقيق تغيير سياسي. وينظر إليه على أنه بديل لموقفين آخرين هما الرضوخ والانصياع السلبي من جهة، أو النضال والصدام المسلح من جهة أخرى. لذلك فإن اللاعنف يدعو إلى وسائل أخرى للكفاح الشعبي منها العصيان المدني أو المقاومة اللاعنفية أو عدم الطاعة وعدم التعاون[١٦] ، نستخلص من مكل ما ذكر آنفاً من مفاهيم ومصطلحات بأن ثقافة اللاعنف هي سلم داخلي وأيدلوجية فكرية متبناة من داخل قيم وعادات المجتمع لتظهر كسلوك لدى أفراد المجتمع في التعامل مع الآخر في قبوله كآخر، ومحاولة تغيير الأوضاع الاجتماعية والسياسية وفق مبدأ التسامح والعفو والين .

المبحث الأول: العوامل الاجتماعية الدافعة لتبني مفهوم اللاعنف في المجتمع العراقي.

تمهيد

هناك العديد من العوامل الاجتماعية التي تدفع بالأفراد والجماعات في المجتمع العراقي إلى اعتماد أساليب اللاعنف في حل المشكلات والتحديات التي تظهر إلى السطح والتي تتطلب صيغاً للحل والتسوية بما يرضي الأطراف المتخاصمة والمتنازعة. وأساليب اللاعنف تفضلها الأطراف المتنازعة على أساليب العنف والحرب والصراع والدمار، إذ ما اقتنعت بعدم جدواها فالعنف والسلم كلاهما ينشأن من داخل النفس الإنسانية. ولا يمكن أن يأخذ أحداهما مساحة أوسع من الآخر في النفس إذا لم يلقَ التشجيع والإثابة من الذات نفسه، من خلال القيم التي تشكل سلوكنا والتي اكتسبنها من عمليات التنشئة الاجتماعية، وتأثير الخبرات السابقة التي تحدد في الواقع ما سوف يصدر منا في المستقبل. فمحبتنا لجميع الناس واحترامنا لهم ولمعتقداتهم، وتقديرنا لأفكارهم ومذاهبهم يكون بفعل خبراتنا السابقة التي كوناها عن ذواتنا وهي التي أعطت الثمار في التعامل الإنساني اللاعنفي. أما كرهنا للناس جميعهم أو لشريحة من الناس فهو ينطلق أيضا من ذات مريضة غير سوية لم تجد التسوية المتناغمة بين ما تحمله الذات من خبرات ومكونات تربوية وما يحيط بها من الواقع المجتمعي المتناقض. فالعنف يتجاوز المقاييس والمعايير الذاتية حتى يعبر الخطوط الحمراء داخل النفس الواحدة، بمعنى أدق فهو ينتفض ضد قيم الوالدية وقيم الحنان الأمومي والانتماء النفسي للعائلة ويتجاوزها ليفك القيود الممنوعة التي حرمت الأديان بكل أصولها تجاوزها، تلك الأديان سماوية كانت أم غير سماوية. فالعنف يولد داخل النزوع النفسي ليجد صداه في البيئة الملائمة حتى ينمو فيكبر، وإزاء ذلك يقول (ميننجر Menninger) إن الصراع يقوم بين إحدى قوتين دافعتين أساسيتين في الإنسان زود بها عند الولادة[١٧]. فكل إنسان به من الخير وبه من الشر، ففي اللاعنف يسود الخير وفي العنف يسود الشر، فالإنسان- اللاعنيف يجني ثمن هذه التعزيزات والتدعيمات مستقبلا حينما تسود الطمأنينة نفسه وينتابه القلق إزاء أي خطأ محتمل أن يرتكبه ويفسر بالسوء، فهو يمنح الاحترام والتقدير للذات أولاً لينعكس ذلك على المجتمع الخارجي وهو بذلك يستحوذ على التقدير في البناء النفسي لذاته وللآخرين[١٨]، إذن النفس البشرية بطبيعتها ميالة إلا المسالمة و ممارسة اللاعنف أذما توافر لها البيئة الملائمة داخل المجتمع . والمجتمع العراقي يمتلك الكثير من المقومات الاجتماعية التي تدفع أفراده نحو تبني ثقافة اللاعنف وتوطين هذه الثقافة في الذات العراقية لتكون جزء منها بعد أن استوطنت ثقافة العنف بها لعقود طويلة وكادت تصبح سمة من سماته الثقافية Culture trait . إذ اغلب الدراسات التي تناولت تأريخ العراق السياسي الحديث كانت تسلط الضوء على أحداث العنف التي مر بها غافلة التحركات السلمية التي رافقته من اجل التغيير الاجتماعي والسياسي. والمجتمع العراقي اليوم أصبح أكثر قدرة على تبني ثقافة المسالمة وإظهارها كنمط ثقافي Culture pattern جديد لما يمتلكه من مقومات والتي يمكن أن نوجزها بما يأتي:

المحور الأول :**المقومات التاريخية والاجتماعية لتبني ثقافة اللاعنف في المجتمع العراقي**:

أ . اجتياز المجتمع العراقي لثقافة العنف عبر تأريخه.

تعرض المجتمع العراقي لفترات طويلة من الزمن لمظاهر مختلفة من العنف و ظهوره بالمستوى والشدة التي نشهدها اليوم ، إنما يأتي نتيجة لسياقات وظروف اجتماعية معينة سمحت بذلك، ولعل الظرف الاقتصادي الضاغط وما يتعرض له المجتمع العراقي من أزمات وما يتبعها من تغيرات عميقة تركت آثارها في بنية المجتمع ومنظومته القيمية والمعيارية ما يمثل بيئة مناسبة لتنامي العنف بكل مستوياته، وفي المجالات كافة التي يتفاعل في إطارها الأفراد. ابتداء من الأسرة وانتهاء بالمجتمع– بوصفه بنية كلية تعتريها مجموعة من الاختلالات- إذ أصبح العنف سيد الموقف وبات اللجوء إليه أو التهديد به لفض المشكلات البسيطة أو المعقدة أمراً محتوماً، إلى الحد الذي غدا يهدد فيه بتغيير طبيعة العلاقات القائمة، فلا يكون هناك مجال للتعاون وتنتفي عمليات الأخذ والعطاء، وتصبح القوة أو التلويح بها هي اللغة السائدة[١٩].

وهذه نتيجة حتمية نظراً لطبيعة ممارسات العنف التي شهدها العراق طيلة الفترات ألاحقة من تأريخه فقد عانى العراق العديد من الاحتلالات الأجنبية وهي الاحتلال المغولي ثم المماليك والعثمانيين حتى سقوط العراق تحت الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٤[٢٠]. وتعرضت بغداد خلاله لعمليات السلب والنهب والحرائق وكثير من الأعمال الإرهابية. وحتى قيام الدولة العراقية سنة١٩٢٠ لم يستقر الوضع السياسي العراقي بل عانى من اضطراب وعنف سياسي كبير اتخذ شكل محاولات دأبت على حبكها الأوساط العسكرية لتغيير نظام الحكم الملكي في العراق، الذي انتهى بقيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م، والتي لم تقل دموية عن الأحداث السابقة والحروب التي مرت بالعراق، بل كانت أكثر إرهاباً من خلال التمثيل بجثمان الأمير عبد الإله ورئيس الوزراء نوري سعيد في الشوارع وقتل وتمزيق الجثث لبعض الأجانب الأوربيين الذين قدموا إلى بغداد كموظفين في الحكومة.[٢١] وستمر مسلسل العنف في المجتمع العراقي بعد اعتلاء حزب البعث الحكم وتعرض المجتمع العرقي للقهر الفكري والمادي للخضوع للسلطة الحاكمة .ثم تعرض العراق لحصار دام تسع سنوات وانتهائه باحتلال انكلو أمريكي للعراق. مما ساعد على معرفة مخاطر العنف وعدم جدواه فالعنف لا يحل المشكلات بل يزيدها تعقيدا لان كل دورة تنتهي بتحطيم احد الطرفين الذي يستعد للجولة القادمة بطاقة أعلى عما بداخلها مم يحرض الغالب على التسلح بأفضل ومهما كانت النتيجة فان هذه الدورة المجنونة لا تكف عن الاتساع والتدمير وتبادل الأدوار[٢٢]. آذ تعرض المجتمع العراقي لفترات طويلة من العنف والإرهاب جعله أكثر إدراكا بمخاطر العنف والالتفات إلى ضرورة تبني فلسفة اللاعنف في نهجه الاجتماعي والسياسي.

ب. إسلامية المجتمع العراقي:

تأثر البناء الثقافي العراقي بالتشريع الإسلامي اذ تنضبط مسيرة حياته بأحكام الشريعة الإسلامية .فقد صيغت شخصيته بالتربية الإسلامية ، فانطبعت بخصائص هذه التربية .ويجب أن لا تخدش هذه الصورة للمجتمع العراقي المسلم ، لانحراف بعض أفراده عن خطوط الإسلام العريضة التي تدعو للمسالمة. هذا فيما يختزن النص الإسلامي قدرة رائعة على إرساء ملامح التعايش والتسامح واللاعنف في المجتمع بكافة أطيافه وانتماءاته وتوجهاته، كما يدلل على ذلك بشكل واضح تاريخ التجربة الإسلامية في الحكم منذ قرون عديدة، يعضد ذلك كله حركة العقل الإنساني والوجدان الجماهيري الذي يأبى بطبعه حالة العنف والإرهاب والتخريب كوسائل أولى يعالج الواقع على ضوئها. فالإسلام مشتق من مادة السلام، والقرآن والسنة تشير نصوصهما بشكل واضح إلى تقديم التسامح والتعايش ونبذ الإرهاب والعنف والكراهية كأصول علمانية، اذ تجد الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد على مبدأ العفو وعدم الرد على الإساءة بمثلها والجنوح إلى السلم اللذان يعدان ضرب من ضروب اللاعنف. ومن الآيات قوله تعالى (وليعفوا وليصفحوا إلا تحبون أن يغفر الله لكم)[٢٣]، وقوله سبحانه (فأعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بإمرة)[٢٤]، وعن رسول الله(ﷺ) قال (ما التقت فئتان قط إلا نصر أعظمها عفوا)[٢٥]، بل إن التنازع والاختلاف من حيث المبدأ القرآني في قوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)[٢٦] يؤكد على الترابط الجدلي بين تنافر الطبيعة البشرية واختلافها وبين ضعف التيار الاجتماعي وانكسار كيانه السياسي والثقافي الذي يراد له أن يشق طريقه وسط صراعات واقع ملتهب ويؤمن له صيرورة حضارية قوية تثير وتكتشف وتحاور وتنهض من ركام آثار الجهل والجمود والتخلف والفقر، وكذلك المبدأ القرآني: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)[٢٧] فهي دعوة للتكاتف والاعتصام والتلاحم والتعايش السلمي، فيما يشكل العنف والتخاصم والتصادم والتنازع صواعق تهدد العلاقات الاجتماعية بالانفجار والتشظي والضياع. وفي الوقت الذي تنبذ هذه النصوص حالات التنازع توحي نصوص أخرى إلى التقارب والحوار والتفاهم والتلاحق الفكري، فهي دعوة للسير والالتقاء ودراسة المكونات الفكرية والتاريخية لأبناء البلد الواحد والهوية الوطنية الواحدة، بل وبينهم وبين سائر البشر: مثل قوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة)[٢٨]، وقوله سبحانه (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم)[٢٩]. هي دعوة واضحة للتعايش السلمي بين المجتمعات المختلفة وفق مبدأ المساواة والإنسانية.

وأن تفعيل قيم التسامح والتعايش على الصعيد الداخلي والخارجي للأمم الإسلامية هو البداية الصحيحة لإقناع العالم بأن الإسلام رسالة حضارية وإنسانية ، وبأن العالم الإسلامي مؤهل لدعم حركة التجدد الحضاري والإنساني من خلال تطعيمها بالقيم المثلى والمبادئ

المستوحاة من المفاهيم القرنية .[٣٠] والمجتمع العراقي احد تلك المجتمعات الإسلامية التي يجب أن تسوده مبادئ السلم المستوحاة من القيم الإسلامية السامية .والكثير من قيمه المجتمعية مدعمة من القيم القرآنية التي تعد الخزين المعرفي للقيم اللاعنف والتي تحتاج إلى تسليط الضوء عليها والاستفادة منها في صياغة ثقافة اللاعنف في البناء الثقافي للمجتمع العراقي.

المحور الثاني: التغيرات السياسية والثقافية وتبني ثقافة اللاعنف في المجتمع العراقي:

أ. تغير نظام الحكم وبوادر نشوء الديمقراطية .

تعرض المجتمع العراقي بعد تأريخ ٢٠٠٣/٤/٩ إلى تحولات مهمة في سلطته السياسية التي عمد الاحتلال إلى تغييرها . وتبع هذا التغيير الكثير من المتغيرات التي بدأت تفرض نفسها على أرض الواقع، هذه المتغيرات التي ألحقت العديد من التبدلات والتحولات في جوانب الحياة كافة، وخصوصاً في جوانبه السياسية والثقافية. إذ تعد المؤسسة السياسية هي المسيطرة على المؤسسات المجتمعية الأخرى جميعها فهي مسؤولة عن تنظيم باقي المؤسسات عن طريق إصدار القرارات بشأنها، والإشراف عليها ومراجعتها من أجل خدمة المجتمع بأكمله، وعند تعرض هذا الجزء الحيوي والمهم في المجتمع إلى أي تغير، فان ما يحصل فيها ينسحب على المؤسسات الأخرى في المجتمع، ويؤدي بالتالي إلى تغير في البناء الاجتماعي للمجتمع ، لأن المؤسسة السياسية هي من أهم ما يتألف منه البناء الاجتماعي ، ومن الجدير بالذكر أن انعكاس آثار هذه المؤسسة لا يكون على مستوى الفرد أو الجماعة أو المؤسسة وحسب بل يمتد تأثيرها على كل البنى التحتية والفوقية للمجتمع[٣١]، وعلى الرغم من سلبيات ذالك التغير إلى انه جعل المجتمع العراقي أمام خيار تبني مشروع بناء الديمقراطية الحديثة في مؤسساته السياسية وتناقل السلطة السلمي.هذا المشروع الذي خلق أجواء ملائمة لشيوع ممارسات اللاعنف في معارضة الشعب للقرارات السلطة الحاكمة وتداول السلطة.

أن ظهور الديمقراطية الحديثة في المجتمع العراقي ساعد على فتح الأفق السياسية والاجتماعية داخل المجتمع العراقي في تبني مفهوم اللاعنف، لوجود مقاربة حقيقية بين الدولة الديمقراطية من حيث الممارسة ومفهوم المسالمة في الممانعة والاعتراض السياسي داخل المجتمع، إذ أن كلمة الديمقراطية** تعني بحسب معناها الاشتقاقي (حكم الشعب نفسه بنفسه ولنفسه) حكما يحترم حريات الكائن الإنساني وحقوقه، حريات كل كائن وحقوقه، وحريات جميع البشر وحقوقهم. ولكن ينبغي على الشعب، لتحقيق الديمقراطية، أن يعتنق الفريضة الأخلاقية التي تؤسس للمثال الديمقراطي وهي ثقافة قبول الآخر على اختلافه والإيمان بأخلاق التسامح ولاعتراض السلمي المستند على ثقافة اللاعنف. أن الديمقراطية هي مفهوم واسع ساهم في إثرائه عبر عقود طويلة من الزمن الكثير من المفكرين السياسيين كل حسب نظره لهذا المفهوم

فجاء إطار كبير يجمع في داخله العديد من التيارات الفكرية التي تتفق على بعض الخطوط العامة وتختلف في معظم التفاصيل، بيد أن الديمقراطية تبلورت بمرور الزمن في الديمقراطيات الحديثة المطبقة بشكل أو بآخر في الغرب. والتي دخلت العراق بعد ما جرى في ٢٠٠٣/٤/٩ من عملية تغيير نظام الحكم في العراق آذ عملت على تأسيس سلطة تدار من خلال حاكم مدني يتولى هذا الحاكم استصدار القرارات وبمساعدة (مجلس حكم) كان جل أعضائه تقريبا من رؤساء الأحزاب الكبيرة والفاعلة، وما حصل فعلا أن تقاسمت تلك الأحزاب السلطة عن طريق قيادتها للعملية السياسية بمراحل متعاقبة كل ثلاثين يوما بعد حكم شمولي دام أكثر من ثلاثة عقود واستمرت في تعاقبها حتى إعلان الاستفتاء على الدستور، وانتخاب الجمعية الوطنية الدائمة، والتي من أولى مهامها تشكيل الحكومة الدائمة، وأمدها أربع سنوات بعد أن مرت العملية بحكومات انتقالية ومؤقتة وقانون مؤقت. كل هذه التغيرات جعلت العراق أمام التحول ديمقراطي قسري، وربما نستطيع أن نعده واحدا من أنماط التحول الديمقراطي[٣٢]، الذي شرع قانون تعدد الأحزاب ويقوم هذا التعدد على أساس الاعتراف بحرية تكوين الأحزاب السياسية، وهو ما تؤكده الدساتير في الدول الديمقراطية عادة". ويجب أن تقوم جميع الأحزاب السياسية على أساس قبول مبدأ التعايش السلمي بينها ، تطبيقا" للنظام الديمقراطي، وتمسكا" بمبدأ حرية الرأي والفكر، ولا يسمح بقيام أحزاب ترفض ذلك، لان الحفاظ على الديمقراطية وتأمين مستقبلها يقتضي عدم السماح بقيام أحزاب ذات صبغة دكتاتورية أو استبدادية[٣٣]. ولنجاح نظام تعدد الأحزاب يجب أن يتفهم المواطنون حقيقته وأهدافه ومراميه، فالنظام الحزبي ليس إلا وسيلة لخدمة المجتمع. والأحزاب وان اختلفت برامجها وأهدافها وأساليبها، تعمل جميعا" على تحقيق المصلحة العامة. في الدولة بالطريقة التي تراها أفضل، والخلاف الحزبي يجب أن يظل في إطار ممارسة حرية الرأي والفكر، فلا يؤدي إلى المخاصمات أو المشاحنات أو الصدام العنيف بين الأنصار والمؤيدين ، فاختلاف الرأي ينبغي ألا يفسد للود قضية، ويلزم ألا يؤدي تنافس الأحزاب على السلطة إلى الإضرار بمصالح المجتمع[٣٤]، وان يتم بصورة حضارية وفق آليات لا عنفيه. أن تواجد مثل هذه الأجواء داخل المجتمع العراقي يفتح الأفق لسيادة ثقافة الحوار بين الأفراد والأحزاب المختلفة وتسمح باستخدام ثقافة اللاعنف كأداة لحل الصراعات السياسية والاجتماعية التي ضلت غائبة طوال الأزمنة السابقة لسيادة النظام الدكتاتوري.

أ- تعرض الثقافة العراقية للثقافات العالمية:

شهد الربع الأخير من القرن العشرين وبشكل أكثر تحديد عقد التسعينات العديد من التغيرات العالمية السريعة والمتلاحقة والعميقة في آثارها وتوجهاتها المستقبلية، فالعالم تحول إلى قرية صغيرة متنافسة الأطراف بفعل الثورة التكنولوجية والمعلوماتية. وقد نتج عن كل ذلك مفهوم جديد لا يزال يثير جدلا واسع النطاق حوله من حيث تحديده وآثاره وأبعاده وهو مفهوم

(العولمة Globalisation)، الذي لا يمكن استيعابه إلا في ضوء تلك التغيرات الاقتصادية والسياسية والثقافية، التي أحدثتها في جميع المجتمعات. والمجتمع العراقي احد تلك المجتمعات التي تأثرت بشكل ملحوظ بتيارات العولمة بعد الانفتاح الثقافي واستخدام أفراده لأدوات العولمة من الستلايت والانترنيت والهاتف النقال الدولي. الذي ظل ممنوعاً طيلة الفترات السابقة، مما جعل أبناء المجتمع العراقي في عزلة عن تيارات التحديث التي تجري في دول العالم المتطور. بعد سقوط النظام الذي جرم استخدام تلك الأدوات، أصبحت العولمة أمرا واقعيا وعلى الجميع التعامل معها كوضع جاء ليبقى. مما ادخل المجتمع العراقي بالمنظومة الدولية بعد مرحلة انقطاع طويلة جدا، هذا الانفتاح ترك أثار ايجابية ونتائج مثمرة في بنائه الثقافي والاجتماع، فالمجتمع العراقي أصبح بإمكانه الاتصال بأي مجتمع في العالم ، والاستفادة من خبرات المجتمعات المختلفة ، وتطوير ميادينه ومؤسساته[٣٥]، وجعله ينظم للقرارات الدولية ويكون خاضع لها ومتأثراً بها للعولمة تأثيرات ثقافية واسعة في الأطر الثقافي للمجتمعات بإدخال مفاهيم حديثة على ثقافات الشعوب المتأثرة. أو تدفع للتخلي عن مفاهيم أمست أكثر عزلة عن الواقع المتجدد للعالم. حتى أوحت لفظة العولمة في مجال الثقافة بمعناها الاجتماعي أن هناك خصائص ثقافية ذات طابع عالمي. خصائص ثقافية متحررة من تأثير ثقافة بعينها وتصلح لأن يأخذ بها الأفراد المنتمون إلى ثقافات ومجتمعات مما تعمل على توحيد القيم الاجتماعية وظهور ثقافة بلا حدود، وآلة ذلك وسائل الإعلان والإعلام والاتصال والتقنيات[٣٦]، أو كما يكتب عبد الله عبد الدائم: "أن مثل هذا التفاعل بين الثقافات العالمية ينبغي أن يؤدى في النهاية إلى تقارب عملي قوامه وضع مجموعة من الثوابت العالمية الثقافية التي تعمل الثقافات جميعها على احترامها وتعميق جذورها. وتوليد مثل هذه الثوابت وقبولها أمر ممكن إذا تم عن طريق الحوار الحقيقي، وحل محل فرض ثوابت ثقافة معينة أو بلد معين على العالم كله، والادعاء بأنها هي وحدها الثوابت العالمية"[٣٧]. كما يتفق عديد من الباحثين على أن الثقافة من أخطر الوجوه الحضارية المتأثرة بالعولمة ، يقول سيار الجميل: "ولم ينحصر الأمر في الاقتصاديات المعولمة بل طالت وبسرعة شديدة ونسبية عالية هذه العولمة ثقافات الشعوب وقيمها وعاداتها"[٣٨]. ونتيجة هذا التأثر في الثقافة العراقية فقد أدخلت العولمة أنماط ثقافية تعد حديثة على البناء الثقافي العراقي جعلت العراقيين أكثر دراية بأهمية العمل اللاعنفي في الممارسات السياسية والاجتماعية نتيجة الاطلاع على التجارب اللاعنفية في العالم واستنباط استراتيجيات هذا العمل الذي بدأ يظهر بين الآونة والأخرى على صعيد ممارسات بعض الأحزاب السياسي أو الأفراد***. التي بدأت تؤمن بجدوى تحقيق تلك الثقافة للأهداف المنشودة منها . كذلك بدأت بعض المنظمات اللاعنفية بالتشكل داخل العراق على غرار المنظمات العالمية ومستوحات منها اطر عملها.

المبحث الثاني: استراتيجيه تبني ثقافة اللاعنف في المجتمع العراقي.

تمهيد

من اجل نشر ثقافة اللاعنف في المجتمع العراقي يجب أن يكون المفهوم جزء من الثقافة المجتمعية للمجتمع العرقي ويكون أبناء المجتمع العراقي يعتنقوه كمذهب مؤمنين بجدواه وفعاليته وليس ممارسة آنية لأهداف وقتية ينتهي بنهاية الأهداف المرجوة منه لذا من اجل تبني هذا المفهوم يجب التأكيد على جانبين .

الأول. العمل على نشوء جيل جديد يتبنى الفكر اللاعنفي كأسلوب حياة.

الثاني. نشر روح المسالمة وجدواها بين أبناء الجيل الحالي.

ويمكن العمل على تحقيق ذلك من خلال إتباع الطرق الكفيلة لذلك وهي:

المحور الأول: بناء جيل يؤمن بثقافة اللاعنف.

أ- الأسرة وثقافة اللاعنف.

يجب أن نعالج العنف في مراحله الأولى، قبل أن يستفحل فيتحول إلى ظاهرة اجتماعية، وان أول مراحل العنف هو العنف الأسري، خاصة بين الوالدين، والذي يكبر في أجوائه السلبية السيئة الأولاد، فإذا بهم يتشبعون حقدا وكراهية بسبب مظاهر العنف بين الوالدين، ليعبروا عنه في الكبر بإشكال عدوانية، وقد تكون إرهابية، إن الأسرة هي البيئة الاجتماعية الأولى للطفل وهي الوحدة الاجتماعية الأولى التي يحتك بها الطفل ويكتسب منها معظم سلوكياته الاجتماعية[٣٩]. وتأتي أهمية وخطورة دور الأسرة لكونها البيئة الاجتماعية التي تحتوي كل الوظائف الاجتماعية، وينشأ الطفل في محيطها وجوها متعلماً ومثقفاً بفن التعامل والتعاون والانسجام والتوافق والمنافسة، ويشعر كونه فرداً في جماعة تقوم بينهم علاقات اجتماعية، وينمو وعيه الاجتماعي بالضوابط المقررة اجتماعياً. ففي الوسط الأسري تتحقق هوية الإنسان الأولى. ويدخل أفراد الأسرة جميعاً في محيط حياة كاملة من التفاعلات الإنسانية وعلى ضوء مستوى ثقافة وفن تعاملهم مع بعضهم تتكون شخصياتهم[٤٠]. فالأسرة التي تتعامل مع أبنائها بدراية وتمتلك تجربة تربوية، وتراقب سلوك كل واحد منهم وتعترف بشخصيته وتحقق له حاجاته الأساسية وتشبعها يسود بينها نوع من الألفة والمحبة والتعاون والانسجام لأنها اتبعت أساليب التربية والتعامل الصحيح[٤١]. و أن إشاعة ثقافة التسامح إنما تبدأ من الأسرة، فالبيت له اثر كبير في هذا الجانب فإذا كانت العلاقة بين الآباء والأبناء تقوم على لغة التسلط والإكراه والاستبداد فمن البديهي، ان تغيب عنه أجواء التسامح ويكون عاملاً في نشر ثقافة العنف لهذا

يتعلمون أبنائه الاستبداد بالرأي وعدم احترام الآخر أو رأيه، كما أن تنامي السلوك التسلطي في تنشئة الأطفال من العوامل التي تحرض على العدوان و احد أسباب شيوع لغة العنف بين الأفراد[٤٢]، آذ أثبتت الدراسات التربوية أن الطفل يتعلم سلوك العدوان نتيجة لمواقف الإحباط الكثيرة التي يتعرض لها خلال السنوات الأولى من حياته أو عن طريق أساليب المعاملة التي يتلقاها من والدته لاسيما العقاب البدني أو التذبذب في المعاملة أو عن طريق تعزيز الأفعال العدوانية للطفل[٤٣]، أن الطفل يكتسب بالتعليم أسلوب القصاص والثأر والانتقام ولهذا فالمطلوب إننا عن طريق التعلم أيضاً نعزز ثقافة التسامح. ويتعلم الفرد أيضا من ثقافته الاجتماعية النماذج المختلفة المحددة ثقافيا للإثابة والعقاب والطرق المشروعة لتحقيق الأهداف المحددة ثقافيا[٤٤]، ولذلك فان استخدام الأنماط السلوكية المحددة ثقافيا وتكرار استخدامها يكسبها الصفة التلقائية فيتبعها الفرد ويستجيب لها كمتطلبات مجتمعه دون مواجهة صعوبات تذكر[٤٥]، لذا تعد الأسرة هي المغذي الأول للثقافة لدى أبناء المجتمع ويتوقف عليها مد بناء المجتمع العراقي بثقافة جديدة عن طريق التربية والتنشئة الاجتماعية ثقافة تؤمن بنهج المسامحة والمسالة في حل جميع الخصومات. ويتم ذلك من خلال إشاعة روح الوئام بين أبنائها وإتباع الممارسات اللاعنفيه في حل جميع المشاكل التي تواجه الأسرة. والى جانب ذالك لابد لاهتمام بالعدالة بين الأبناء والتي تساهم في تعريف الطفل والمراهق بحقوقه وحقوق الآخرين وكما أن تعزيز التنافس الصحيح ينمي لدى الأولاد الاعتراف بمهارات الآخرين وما يمتلكونه من قدرات فقد يكون من الضروري أن نعلم الأبناء تقديم التهاني في المسابقة إلى الفائزين فهذه تعزز لديه الشعور بحب الآخرين واحترامهم وتمني الخير لهم مما يساعد في تدريب الأولاد على مقدمات التسامح والعفو[٤٦]، شيء مهم يجب أن يعرفه الأولاد أن التسامح ليس الانسحاب من الموقف وهو ليس ضعفا بل قوة نحتاج إلى تعبئتها في المواقف الحرجة، وقد يكون من الضروري تعزيز الثقة بالنفس لدى الأولاد وإشعارهم بقدراتهم وطاقاتهم وعدم تعزيز الشعور بالنقص خاصة في مواقف الخطأ والفشل وإذا كان تقدير الطفل والمراهق لذاته سليما صحيحا فانه سوف يتقبل مسألة الخطأ والفشل وسينظر إلى نفسه على انه إنسان معرض للزلل والفشل وكذلك الآخرين وبالتالي فالفهم الصحيح للنفس يقود إلى فهم صحيح للآخرين الآمر الذي يقود إلى تقبل أخطاءهم والتغافل عنها في مواقع القدرة. وتلعب لغة الحوار والتدريب على مهارات الاستماع دورا كبيرا في ذلك، فازا استمعنا لأولادنا وهم يعللون أخطاءهم ويبررون تصرفاتهم فان ملكة الإنصات للآخرين ستتقوى لديهم مما يجعلهم مستمعين جيدين لأخطاء الآخرين وتقبل آراءهم والنظر بعمق لما يقوله الآخر[٤٧]، و يجب أن يتعلم كيف يأخذ حقوقه المشروعة ويعرف نظرة الآخرين إليه فلو تسامح مع آخر لابد وان تكون النظرة إليه على انه طفل شجاع استطاع أن يعفو ويغفر.لذا تبقى دائما العلاقات الأسرية هي نبراس هذه الثقافة وهي المرآة المعكوسة على

الأولاد في تبني ثقافة اللاعنف .و يبقى مجتمعنا بحاجة إلى تعزيز هذه الثقافة كي لا تطغى ظاهرة التعصب والتطرف والتي تعزز مشاعر الحقد والكراهية تجاه الآخر.

ب. المدرسة وثقافة اللاعنف:

تعد المدرس البيئة الخارجية الأولى التي ينتقل أليها الفرد من بيئته الأسرية وهي بيئة أوسع واعقد وأكثر اتصالاً بالحياة ويلتقي فيها عدد كبير من الأطفال الذين نشأوا في بيئات اجتماعية مختلفة ولهم نزعات وأهداف متباينة لذا فان دور المدرسة مرتبط ومكمل لدور الأسرة في التربية والتوجيه والرعاية والوقاية من الانحراف[٤٨]. فالمدرسة أداة أخلاقية في يد المجتمع لضبط سلوك الأفراد ففيها تكتمل التنشئة من الناحية الاجتماعية والحضارية ليتم إعداد أفراد صالحين للمجتمع وذلك بتعلم الأفراد أسس النظام والدور الذي تلعبه المدرسة في التنشئة الاجتماعية يعتمد إلى حد كبير على النظام التربوي وشخصية المدرس الذي يمثل بالنسبة للطفل السلطة التي يجب أن يطيعها ويقتدي بها ، فانه يعمل على تدعيم ثقافة الطلاب في تعامله اليومي معهم. فالمعلم يلعب دور المربي وهذا يماثل دور الوالدين في الآسرة بالطريقة التي يوجهون أو يصححون تصرفات الأطفال وهذا يحتاج إلى إلمام بالعوامل الاجتماعية والنفسية لكي يستطيع معالجة المشاكل التي يتعرض لها الطالب، وهناك حقيقة مهمة وهي أن بوادر الانحراف تظهر لدى الأطفال في المدرسة ولاسيما بالنسبة لمخالفة القوانين الداخلية والنظام[٤٩]. يؤدي المنهج المدرسي دورا كبيرا في إعداد الأجيال الناشئة والمتعلمة بما يتفق مع الفلسفة التي يعتنقها المجتمع، والمبادئ التي يرتضيها. وانطلاقاً من كون المنهاج بمفهومه الحديث يمثل مجموعة الخبرات التربوية التي تهيئها المدرسة لتلاميذها لمساعدتهم على النمو الشامل والمتكامل في شتى جوانب الشخصية، فإن عليه أن يقوم بدوره كوسيلة تثقيفية تسهم في تعزيز ثقافة السلام في المجتمع.

لقد غدا التعليم من أجل نشر ثقافة السلام والتسامح في المجتمع العراقي ضرورة ملحة، فالتعليم مطلوب منه اليوم أن يهدف إلى مقاومة تأثير العوامل المؤدية إلى الخوف من الآخرين واستبعادهم، وإلى مساعدة النشء على تنمية قدراتهم على استقلال الرأي والتفكير النقدي والتفكير الأخلاقي. وينبغي أن تسهم السياسات والبرامج التعليمية والمناهج الدراسية، ومضامين الكتب المدرسية والدروس وغيرها من المواد التعليمية في تعزيز التفاهم والتضامن والتسامح بين الأفراد والمجتمعات ومحاربة العنف والتطرف. وهذا ما دعا إليه اليونسكو حين أكد على ضرورة «تحسين نوعية المناهج المدرسية بإدراج القيم الإنسانية لتحقيق السلام والتلاحم الاجتماعي، واحترام حقوق الإنسان والكرامة الإنسانية، وأن تكون عملية تطوير المناهج الدراسية قائمة على المشاركة»[٥٠]، وان «تنمي لدى كل فرد روح التمسك بالقيم

العالمية وأنماط السلوك التي تقوم عليها ثقافة السلام، من خلال تحديد مجموعة من القيم والسلوكيات التي تمثل أرضية عالمية مشتركة رغم اختلاف المجتمعات والثقافات»[٥١]، وفي هذا الصدد تؤكد الاتجاهات التربوية الحديثة في محاربة العنف على ما يسمى «بالاتجاه الوقائي التربوي»، والذي يقصد به بناء المناعة الذاتية المدافعة للعوامل المسببة لخروج السلوك البشري عن جادة الصواب، من خلال تعزيز ثقافة السلام والتسامح في المناهج المدرسية، بحيث لا تستقل تلك الثقافة بذاتها كمادة ذات بناء مستقل، بل دمجها في المناهج المدرسية المختلفة لتصبح جزءا منها، وتشغل مكانا فيها، وتكون حاضرة في صياغة أهدافها، أيّ أن تتماها القيم والمبادئ والحقوق، التي نقصد تربية المتعلمين عليها، مع كل مادة تعليمية، فتغدو من صلبها، وتجعلها موحدة ومتكاملة[٥٢]، ويعدّ هذا الاتجاه أو النموذج (الوقائي التربوي)، الذي يركز على نشر المعرفة الأساسية بثقافة السلام والتسامح وتعزيز اندماجها بالقيم العامة، من خلال المناهج الدراسية المدرسية والجامعية، من أكثر النماذج فاعلية على المدى الطويل في إحداث التحول الاجتماعي الإيجابي، و إيصالها المعرفة الأساسية بثقافة السلام والتسامح إلى كل فرد من أفراد المجتمع وإدخالها في ثقافتهم وجعلها جزءا من حياتهم اليومية. كما يجب أن يسود في المؤسسات التربوية ديمقراطية تعامل الكادر التعليمي مع الطلبة ليسود ثقافة الحوار وان يتم التعامل بحرية في أبدء الرأي .ليتعلم الطلبة احترام الحوار وجدواه في إبداء آرائهم المختلفة وليمتلكوا شجاعة في بيان اختلافهم[٥٣]، هذا ما يؤكد أهمية التعليم كونه يسهم في بناء الشخصية المسالمة ويكرس ثقافة اللاعنف بوصفها إستراتيجية في عملية التنشئة الاجتماعية التي تعمل عليها المؤسسة التربوية.

المحور الثاني : نشر ثقافة اللاعنف بين أفراد المجتمع:

أ. وسائل الأعلام ونشر ثقافة اللاعنف:

شهد العصر الحالي تسارعاً كبيراً في صناعة الاتصالات وتطورها. وخاصة في الإذاعة والتلفزيون والأقمار الصناعية والكومبيوتر، وقد أتاحت هذه الاختراعات المجال لتوافر أجهزة الاتصال وبأسعار رخيصة وبإحجام صغيرة كما أصبح استخدامها على نطاق واسع[٥٤]، لقد جاءت ثورة الاتصال لتجعل من وسائل الإعلام شريكاً فاعلاً يسهم بقدر كبير في عملية التنشئة الاجتماعية. بجانب قنوات التنشئة الاجتماعية الأخرى. وتظهر فاعلية وسائل الأعلام في قدرتها على التحرك حيث يوجد الجمهور المستهدف في بيته أو مكتبه أو أي مكان يتجه أليه تخاطب الكبير والصغير المرأة والرجل. كما أن وسائل الأعلام احتلت نفسها مكاناً في كافة ميادين الفكر والتأثير في الثقافة والترويج والتوجيه وفق أساليب مستحدثة وتقنيات عالية مما يجعل أفراد المجتمع يسلمون عقولهم وعاطفتهم للوسيلة الإعلامية لتقوم بدور الآسرة والمدرسة[٥٥].

أن الأعلام بمفاهيمه العلمية المعاصرة جديد على الفكر والممارسة العراقية، إذ لم تدخل اغلب تلك الاختراعات المنزل العراقي إلى في الآونة الأخيرة لتجريم النظام السابق لمعظمها. والتحدي الذي يفرضه علينا عصر التكنولوجية اليوم هو استيعاب هذا النوع من أنواع المعرفة الإنسانية والانتفاع بها، فلوسائل الإعلام فوائد جمة منها قدرتها في توجيه الرأي العام نحو التغيير من خلال ترويج أفكار المساواة والحرية والعدالة الاجتماعية ،كما أن بمقدور الحملات الإعلامية الموجهة أن ترفع مستوى المعرفة العامة فيما يتعلق بالمسائل الاجتماعية والسياسية[٥٦]، أن أهم ما يميز الدور الايجابي لعملية الاتصال في اطر ومستويات التنشئة الاجتماعية في أي مجتمع هو قيام تلك الوسائل بإرشاد الأفراد إلى التعامل الذكي الواعي مع وسائل الإعلام (صحافة، إذاعة، تلفزيون) بحيث لا يقبلون ولا يعتقدون بما تقدمه لهم وسائل الدعاية دائماً. بل يتفاعلون معها بعقلية راشدة وأفكار واعية. وقد أشار إلى ذلك "البرت شرام" عندما ذكر أن لوسائل الاتصال مثل التلفزيون دوراً مهماً في تنسيق الفهم العام والتحكم الاجتماعي[٥٧]، وقدرة هذه الوسائل ترويج ثقافة تتناسب مع متطلبات المجتمع وتلبي رغباته مما يتيح إمكانية استخدام الإعلام الجماهيرية كالتلفزيون والانترنيت والجرائد والمجلات والكتب والإعلان في نشر ثقافة اللاعنف داخل المجتمع العراقي. لما لهذه الوسائل من قدرة على توافر مناخ فكري للتغير عن طريق بث أفكار جديدة تسهم في عملية التغير نحو ثقافة تؤمن بسلم والحوار طريق لحل جميع الاختلافات والتناقضات المتوافرة داخل المجتمع العراقي. ثم تقليل وسائل الإعلام لعرضها مظاهر العنف إلى الحد الأدنى وللضرورة القصوى فقط يساهم من حصر ثقافة العنف بين فئات المجتمع، لان مشاهدة مظاهر العنف بالصورة أو بالفيلم، خاصة من قبل الأطفال والشباب، هو مقدمة التطبع عليه ومحاولة محاكاته على ارض الواقع وفي ممارساته اليومية. أن لوسائل الأعلام القدرة على إشاعة ثقافة اللاعنف عبر أدواتها الإعلامية التي تصل بشكل مباشر إلى جميع شرائح المجتمع وعلى اختلاف ثقافاتهم أذما استخدمت نقطة حوار وتفاهم ولقاء لا نقطة خلاف وتناقض وصراع .

ب. المنظمات الأهلية و الأحزاب ونشر ثقافة اللاعنف:

إن الحكومات بمفردها لن تستطيع أبدا أن تحل جميع المشاكل التي تحول دون تحقيق نهضتها الحقيقية وازدهارها الشامل، فلا بد من مساعدة فعاليات المجتمع المدني بجميع جمعياته ومنظماته ومكاتبه القانونية والتنظيمية ومراكزه العلمية وهيئاته النقابية والمهنية في تحمل مسؤولية المشاركة و المساهمة في بناء المجتمع البشري والإنساني وتكثيف الجهود لتنمية المجتمع من خلال نشر وبلورة أساليب اللاعنف بين أفراده. لذا أصبحت تلك المنظمات اليوم ارتكاز أساسي في عمليات التنمية والتحديث في كل مجتمعات العالم ومنها العراق،

فمنظمات المجتمع المدني بالأساس وبحكم كونها تعبيرا عن مبادرات مستقلة ومنظمة من جانب مجموعات متنوعة من مختلف الفئات الاجتماعية، تعتبر أفضل آلية للمشاركة في تغيير ثقافة المجتمع، وذلك من خلال ما تقدمه من دعم وجهد مادي ومعنوي، وما تطرحه من مبادرات وندوات ثقافية تعمل على نشر ثقافة قبول الآخر وحرية الرأي وعدم تجاوز الآخر من خلا فلسفة خالية من الكراهية ومبادئ سامية، آذ تعتبر مسألة التسامح بكل أشكاله العمل الأبرز الواجب على المنظمات القيام به وتدعوا له. مع إمكانية إيجاد قنوات اتصال وتعاون مع منظمات عربية ودولية لتعزيز ثقافة اللاعنف والاستفادة من خبرات تلك المنظمات داخل المجتمع العراقي.

للأحزاب السياسية دور مهم في مجمل العملية السياسية لأي بلدٍ من بلدان العالم، مهما كانت طبيعة النظام السياسي فيه، دكتاتوريًا كان أو ديمقراطيًا، فالأحزاب بمفهومها العام تعتبر حلقة وصل تربط بين المصالح المباشرة للمجموعات والجماعات المختلفة في أي مجتمع وبين السلطة الموجودة فيه. ومن الطبيعي أن يكون للأحزاب السياسية، على تعددها وتنوعها، أهمية أكبر وأعظم في المجتمعات التي تسير وفق النهج الديمقراطي، والتي تعتمد على التعددية السياسية والحزبية، وتعطي لكل جماعة أو فئة من المجتمع حق وحرية التعبير السياسي عن نفسها، والمشاركة، بشكلٍ أو بآخر، في النظام السياسي القائم، إذ تمارس الأحزاب السياسية نشاطًا سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا متنوعًا ومتعدد الأوجه والأشكال. وعلى الرغم من أن مجمل نشاط الأحزاب السياسية يتمحور حول السعي إلى الوصول إلى السلطة السياسية من أجل تحقيق برامجه وغاياته، إلا أنه لا يمكن عزل هذا الهدف عن الأهمية والفوائد التي تتحقق من خلال الدور الذي تقوم به الأحزاب السياسية،في التنشئة السياسية ورفع مستوى الوعي السياسي: حيث إن قيام الأحزاب بالتعبئة والتثقيف السياسيين لأعضائها تساهم في رفع مستوى الوعي السياسي لدى أفراد المجتمع بشكل عام.والأحزاب العراقية اليوم أذا أرادت ان تعمق مفهوم الديمقراطية بالحياة السياسية العراقية يجب أن تتحرر من ترسبات الماضي وأثار تخلف الفكر الشمولي الذي كان سائدا في المجتمع العراقي والانفتاح على العصر وما يتضمنه من قيم ومبادئ حضارية تمنحنا فرص الحل والمعالجة لإشكالاتنا التنظيمية والسياسية[٥٨]، ومن أهم تلك المبادئ اللاعنف كونها تتضمن آليات الحل التي ترضي كافة الأطراف فالإيمان بالحوار والتسامح كثقافة ومنهج يعني بالضرورة الاعتراف بوجود الآخر المختلف وقبوله كما هو كشرط لنجاح العمل الديمقراطي بالعراق.

خلاصـــــة

تتجلى ثقافة اللاعنف كإحدى أهم الضرورات الاجتماعية في الواقع العراقي المعاصر بعد أن استشرت ظاهرة العنف وظاهرة تهدم العلاقات الاجتماعية طيلة الفترات السابقة. والمجتمع العراقي اليوم أكثر تأهيلاً للشروع بتبني هذه الثقافة نظراً للمقومات الاجتماعي التي يمتلكها والتي تعد عاملاً مساعداً تدفع على أن تكون ثقافة اللاعنف سائدة بين أبنائه.

إن تفعيل ثقافة التسامح واللاعنف التي تقرها الأديان السماوية والعقل، هو المحك الأصعب التي يجب أن تأخذها جميع قطاعات المجتمع على عاتقها لنشوء دولة تسودها الآمن الاجتماعي وتنعم بخيراتها. وللوصول إلى إشاعة ثقافة اللاعنف في العراق، ضمن ولادته السياسية الجديدة، فانه على الأحزاب والتجمعات والجمعيات ومؤسسات المجتمع المدني الفاعلة فيه أن تعي دورها وتكثف حضورها باتجاه سيادة مفردات: الحوار، العمل السياسي المشترك، الجدل الفكري، وهي مفردات للمشاركة الجادة في البناء والنهوض، التي تشكل البدائل للعنف والإرهاب. وان لا تكون وفق المنظور النظري فحسب بل يجب أن توازيه وتدعمه جميع النشاطات والفعاليات التطبيقية. لتكون الممارسة الفعلية للنشاطات اللاعنفية هي الداعم الحقيقي لثقافة اللاعنف في سلوكيات أفراد المجتمع العراقي. والتي تقع ضمن سياقات احترم العمل الديمقراطي وسيادة القانون وهي من أهم المفردات التي ينعم العراق وفق الصيرورة الحديث بها. والتي يجب آن تحافظ ألدوله العراقية علها للتطلع نحو مستقبل امن. إذاً تبني ثقافة جديدة على البناء الثقافي العراقي هو مسئولية جماعية تقع على عاتقنا كأفراد وجماعات وحكومة ،تبدأ من داخل الآسرة تُنشئ الجيل الجديد عليها وتتم باقي قطاعات المجتمع في تدعيمه لتكون وحدة واحدة في بناء مجتمع مسالم مع نفسه قبل أن يكون مع الآخر. والمجتمع العراقي قادر على ذلك وفق المعطيات التي تم بحثها، أذا ما اتبع استراتيجة عمل لذلك وكان جدي في تطبيقها.

التوصيات والمعالجات:

أن الأيمان بجدوى العمل اللاعنفي بين مؤسسات وأحزاب المجتمع العراقي من اجل التغيير هو الطريق الأمثل لتوطين ثقافة اللاعنف بين فئاته،خصوصاً بعد توافر الظروف الاجتماعية الملائمة لذالك. ومن اجل بناء ونشر ثقافة اللاعنف في المجتمع العراق يجب أن تتكاتف جهود المؤسسات الحكومية والغير حكومية لذلك، عبر استراتيجيه علمية تتبع الخطوات الآتية:

١. القضاء على العنف المنزلي داخل المجتمع العراقي وفق أقرار القوانين التي تحمي المرأة والطفل من جميع أنواع العنف الأسري وتخلق أجواء أكثر آمناً اجتماعياً وقانونياً لهم .

٢. دعم ألدولـه للألعاب الأطفال التـي تكون بعيدة عن مظاهر العنف وإيقاف استيراد العاب الحرب المتداولة اليوم بالسواق المحلية.

٣. منع اغلب مشاهد العنف التي تظهر بوسائل الإعلام لكي لا تكون وسائل الإعلام أداة لنشر ثقافة لعنف والإرهاب ،مثل مظاهر الإعدام والقتل الوحشي .

٤. الاهتمام بتوجيه المؤسسات التربوية على ممارسة ديمقراطية الحوار داخل الصفوف وخلق ثقافة الحوار المفتوح في تدريس المادة العلمية. واعدة النظر بصياغة منهج التربية الإسلامية والتأريخ لتكون أكثر أشارة إلى أهمية العمل اللاعنفي في تأريخ الشعوب كجزء مهم من التأريخ الإسلامي والعالمي .

٥. الاهتمام بشكل كبير ومركز لإظهار الآثار السلبية التي طالت العراق من جراء ممارسات العنف التي تبناها النظام السابق ضد مواطنيه والدول الأخرى وعدم جدوها ،للاستفادة من أخطاء الماضي في بناء المستقبل .

٦. تبني المؤسسة الدينية توضيح جوهر الإسلام الذي يعتمد على اللاعنف في أداء رسالته السماوية، لإسقاط الادعاءات عن قادة الإرهاب وزعماء العنف، الذين يوظفون الدين لخدمة أهدافهم ا الخاصة.

٧. الاهتمام بتشريع قانون يبعد جميع الأحزاب التي تستخدم العنف لغة وحوار عبر آليات الضغط السياسي لكسب المناصب ،ويلزمها الاستغناء عن أجنحتها العسكرية واستخدام الديمقراطية في نظامها الداخلي.

٨. تقليل من مظاهر العنف التي تظهر بشكل يومي في ممارسات وسلوكيات أجهزة الآمن داخل المدن عبر عدم احترام الآخر أثناء تأدية عملهم وإطلاق النار العشوائي. مما يدعو إلى ادخارهم بشكل دوري دورات تأهيلي.

٩. تكاتف عمل مؤسسات المجتمع الأهلي في نشر ثقافة اللاعنف عبر آلياتها مثل عقد الندوات وزيادة المنشورات التي تعنى بتلك الثقافة.

الهوامش:

[١] - البعلبكي، قاموس المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦، ص٩٣٠.

[٢] - ابراهيم مدكور (د) معجم العلوم الاجتماعية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،١٩٧٥،ص٢٠٠.

[٣] - احمد زكي بدوي (د) ،معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ،مكتبة لبنان .بيروت ،١٩٨٢،ص٩٢.

[٤] - شاكر مصطفى سليم (د) ،قاموس الانتروبولوجيا ،جامعة الكويت ،١٩٨١ ، ص ٤٧.

[٥] - سالي فيمان ،قاموس اكسفورد الحديث،ترجمة نجاح الشمعة(د).محمد محمود(د)،نشر شهاب الدين ،ايران ١٩٧٦،ص٥٠٤.

[٦] - لمصدر نفسه ،ص٨٢٣.

[٧]- أبو الفضل، محمد بن منظور، لسان العرب، المجلد ٣، دار لسان العرب، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٢٠٨٨

[٨]- الفيروز ابادي ، قاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي،ج١،بلا ،ص٤٦.
[٩] - عطا الله مهجري،التسامح والعنف في الإسلام،ترجمة سالم كريم ،رياض الريس للنشر، بيروت ،٢٠٠١،ص٤٠.
*- اليانية ديانة ظهرت في الهند في القرن السادس قبل الميلاد أسسها جينا وتقوم على مبدأ اللاعنف تجاه جميع المخلوقات .
[١٠] - عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧، ص٣٢٠.
[١١] - المصدر نفسة،ص٢٨٥
[١٢] - حيدر البصري ،اللاعنف مدخل المفاهيم والرؤى، مجلة النبأ ،مطبعة الإرشاد الحديث، ع٥٤، ٢٠٠١، ص٨٣.
[١٣] - أحمد عبد الحكيم ،هشام مرسي،حرب اللاعنف الخيارالثالث ،الدار العربية للعلوم ، بيروت، ٢٠٠٧، ص,٢٥
14- Sorokin , Pitirim . Sociology of Revolution Newyork the free press, 1983, 2nd edition, PP. 45 – 46.
[١٥] - جان ماري مولر، استراتيجية العمل اللاعنفي، حركة حقوق الإنسان، بيروت، ١٩٩٩ ، ص٣٩ .
[١٦] - ويكوبيديا ،الموسوعة الحرة ، انظر www.wikipidia.org
[١٧] - أسعد الإمارة (د) ، العنف وتصدع الشخصية ، مجلة النبأ ، مطبعة الإرشاد الحديث، ع٧٨ ،٢٠٠٥، ص٤٣
[١٨] - المصدر نفسه ص٤٥.
[١٩] - أسراء جميل، العنف الاجتماعي، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص٥٩ .
[٢٠]- محمد حمدي الجعفري ، بريطانيا والعراق حقبة من الصراع ،بيت الحكمة ،بغداد ، ٢٠٠٠م ،ص٧ .
[٢١]- باقر ياسين (دكتور). تاريخ العنف الدموي في العراق، دار الكنوز الادبية، بيروت، ١٩٩٩، ص٣٦٩.
[٢٢] - خالص الجلبي (د) ،الإسلام والعنف ، دار الكرمل للنشر ،عمان ،٢٠٠٥،ص٥٤.
[٢٣] - سورة النور/٢٢
[٢٤] - سورة البقرة / ١٠٩
[٢٥] - بحار الأنوار، ج٦٨ ص٤٠٢ ب٩٣ ح٨.
[٢٦] - سورة الأنفال /٤٦
[٢٧] - سورة أل عمران / ١٠٣
[٢٨] - سورة الحجرات /١٠
[٢٩] - سورة الحجرات /١٣
[٣٠] - عبد العزيز بن عثمان ،(د)، فعالية قيم الحب والتعايش والتسامح في القرآن ،مؤسسة البيت الملكية للفكر الإسلامي ،عمان ،٢٠٠٧،ص٩.
[٣١]- أيمان حمدي رجب ، الآثار الاجتماعية لانهيار المؤسسة السياسية بالعراق ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة موصل ،٢٠٠٥،ص٣.

**- تعني كلمة الديمقراطية في أصلها الفردي حكم الشعب: و هي ترجع إلى أصل يوناني مكون من مقطعين احدهما demos و تعني الشعب و الأخرى crates و تعني حكم أو سلطة و بذلك تعني الكلمة في معناها اللغوي أي الشعب هو صاحب السلطة أو حكم الشعب.

[٣٢]- جوزيف شومبيتر ، الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية ، ترجمة خيري حماد ، ج٢ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة،١٩٦٤،ص٥٦.

[٣٣] -حسن ناصر المحنه،التعدية الحزبية وأثرها في النظام السياسي والتعايش السلمي، الحوار المتمدن ،ع٢٧٩٢ في٢٠٢٠/١٠/٧ انظر www.ahewar.org

[٣٤]- ماجد راغب الحلو (د)، القانون الدستوري ، دار المطبوعات الجامعية ،الإسكندرية ،١٩٩٧ ،ص١١٥.

[٣٥] - أحمد ياسين أحمد، دور العوامل الاجتماعية في الإرهاب، رسالة ماجستير مقدمه إلى كلية الآداب جامعة القادسية . ٢٠٠٥ ، ص١٠٦.

[٣٦]- الفتاح أحمد عبد الفاوي، الثقافة العربية في عصر العولمة، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ع ٢٢٩، ١٩٩٨، ص٣٣.

[٣٧] - عبد الله عبد الدائم ، العرب والعالم بين صدام الثقافات وحوار الثقافات ،مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ع ٢٠٣ ، ١٩٩٦،ص٤١.

[٣٨]- ناصر بن سليمان السايعي،البعد الثقافي لمفهوم العولمة وأثره على الثابت والمتغير في الشريعة الإسلامية، ٢٠٠١م.

[٣٩] - جليل وديع مشكور ، العنف والجريمة ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص١٠٩ .

***- مثل مقاطعة بعض الاحزاب لجلسات البرلمان ،اواستخدام ضرب المقاعد بالايدي من قبل بعض الأحزاب ، احتجاجات الافراد بلسق الافواه ،او وضع القيود بالايدي، ووضع الاجهزة الكهربائية بالطرق احتجاج على نقص الكهرباء.

[٤٠] - تغريد كامل خضير،أساليب التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العراقية،، رسالة ماجستير مقدمه إلى كلية الآداب جامعة بغداد . ٢٠٠٥ ، ص ٣٧.

[٤١] - ماهر محمود عمر (د)، سايكولوجيا العلاقات الاجتماعية ،دار الكتب الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨، ص١٢٠.

[٤٢]- امل مهدي صالح النوري ، الحرمان العاطفي وعلاقته بالعدوان لدى المراهقين ، رسالة ماجستير في علم النفس ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٨ ، ص١٢ .

[٤٣] - امل عواد معروف(د) ،أساليب الأمهات في التطبيع الاجتماعي في الأسرة الجزائرية ، بيروت ١٩٨٧ ،ص ٢٦٠.

[4]5- Paul Horton and Chester L. Hunt, (N.Y.: McGraw-Hill Book Co., Inc. 1972). P.48

[٤٥] - سميرة أحمد السيد، علم اجتماع التربية ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص٤٤.

[٤٦]- كفاح حداد ،الأسرة وثقافة اللاعنف ،مقال منشور في موقع البلاغ الالكتروني . انظر http://www.balagh.com/

[٤٧] - المصدر نفسه .

٤٩- عمر محمد التومي ، دور المربي ورجل الأعلام والمرشد الديني في الوقاية من الجريمة والانحراف ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، الرياض ، ١٩٩٣ ، ص٣٨ .

٥٠- عمر عسوس ، دور الآسرة والمدرسة في الوقاية من الجريمة في الفكر العربي ، ع٨٣ ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، ١٩٩٦ ،ص٢٢٧ .

[٥٠] - اليونسكو : التربية من أجل السلام وحقوق الإنسان والديمقراطية، إطار العمل المتكامل بشأن التربية من أجل السلام وحقوق الإنسان والديمقراطية، الذي أقره المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، تشرين الثاني ١٩٩٥ص٦.

[٥١] - المصدر نفسه ص٩.

[٥٢] - عامر عبد زيد ،التعلم وثقافة اللاعنف ،مؤسسة شفق،نشر ٢٠٠٨/٨/٢٥ انظر

http://www.shafaaq.com/

[٥٣] -حمد الله ربيع،الفوضى التربوية في المجتمع العربي،أكاديمية ألقاسمي،فلسطين ،٢٠٠٥،ص٥٤

[٥٤] - حارث صاحب محسن، الإعلام المرئي وأثره على التنشئة الاجتماعية ، رسالة ماجستير في علم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥،ص ١٧.

[٥٥] - شاهيناز طلعت، وسائل الأعلام والتنمية الاجتماعية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٠، ص ٧٩.

[٥٦] - تشارلز رايت ،ترجمة محمد فتي \المنظور الاجتماعي للاتصال الجماهيري ،الهيئة المصرية العامة للكتابة القاهرة ،١٩٨٣ ، ص١٣١.

[٥٧] - شاهيناز طلعت ، المصدر السابق، ص ٨٢.

[٥٨] - ميتان هوري ، الاختلاف في ظل التخلف مجلة الوحدة ، سوريا ، ع ١٨٠، ٢٠٠٩،ص١٣ .